قرأت العدد الماضي من «الآداب»

بقلم
منير البعلبكي

حين عهد اليّ رفيقي الدكتور سهيل ادريس في ان اقرأ العدد الحادي عشر من السنة الاولى من « الآداب » قلت في مستهل حديثي إنني احب ان انهج في النقد نهجاً جديداً يختلف عن النهج الذي درج عليه الزملاء الذين سبقوني الى النهوض بهذه المهمة . ويقضي هذا النهج الجديد بأن يُنظر الى العدد **ككل متماسك** لا كأجزاء متفرقة ، ويوضع في ميزان القيمة بوصفه **عدداً من مجلة** تعاونت على اصداره اقلام الكتّاب والشعراء والمراسلين وجهود قلم التحرير جميعاً ، ليقال بعدُ إنه **عدد** قوي او ضعيف ، موفق او قليل الحظ من التوفيق . لا ان يُنظر اليه على انه **مجموع مقالات او قصائد** يقف الناقد عند كل منها وقفة قد تطول وقد تقصر ليدلي برأيه فيها او يناقش صاحبها في الطريقة التي اصطنع ، او في عموم الفكرة التي ذهب اليها او خصوصها . وهي طريقة حسنة في الجملة ، ولكنها تنطوي على خطر كبير هو ان يغفل الناقد — في زحمة الكلام التفصيلي على مادة العدد مقالةً مقالةً وقصيدةً قصيدة — عن شيء هو في التحليل الأخير اهم من ذلك كله بكثير وخير اثراً في توجيه القائمين على امر المجلة نحو الكمال : اعني تقييم العدد **كعدد** والحكم عليه كجهد فكري يمثل امكانيات المجلة ، ويعكس صورة عن نشاطها شهراً بعد شهر .

والآن ، وقد انقضت على كتابة هذه الكلمات سنة واربعة اشهر اجدني اشد اقتناعاً بأن هذا الموقف اصح المواقف التي ينبغي ان يتخذها الناقد الذي يقرأ العدد الماضي من «الآداب». وآية ذلك ان حضرات النقاد الذين تعاقبوا على النهوض بهذه المهمة — وعدّتهم ستة عشر كاتباً — اضطروا بسبب من تشعّبهم هذا النهج الى ان يسرفوا على انفسهم ، وعلى القراء ، وعلى المجلة ، فيقفوا عند كل مقال من مقالات العدد ، وكل قصيدة من قصائده ، وكل قصة من قصصه تقريباً ، معلقين مناقشين مصوّبين ، مما حمل جماعة الكتّاب والشعراء والقصصيين على ان يحسوا أنهم يُساسَمون في كل مرة الى جزار يسلخ منهم الجلد سلخاً خاطفاً تعوزه الروية حيناً ، وتعوزه المراعاة لحرمة الاختصاص حيناً ، باستثناء بعض النقاد الذين اقتصروا على نقد جانب من جوانب العدد وجدوا في انفسهم القدرة على الخوض فيه ، دون الجوانب الاخرى ، فعلَ الاستاذ منح خوري — مثلاً — إذ اخذ نفسه في العدد الماضي بالكلام على الشعر من دون سائر الفنون مسهباً في مناقشة المواد التي اختارها لنفسه إسهاباً يردفه ذوق سليم واطلاع حسن . والواقع ان الناقد الذي يشغل نفسه بالوقوف عند كل مادة من مواد العدد الذي ينقد أشبه بمن تلهيه الاشجار المفردة عن رؤية الغابة ، كما عبر القاضي الاميركي الحكيم ، بنجمان غرينزبان ، في الحكم الذي اصدره في قضية « ارض الله الصغيرة » لآرسكين كالدويل . واغلب الظن انه نادراً ما يوفق الى اكثر من إثارة غضب الكتاب واستفزازهم وتحريكهم الى كتابة الردود المغضبة الصاخبة .

من اجل ذلك اؤثر ان يتخذ **قاريء** العدد الماضي موقف **القاريء** فعلاً ، القاريء الذي يبدي رأيه في العدد على نحو عام ، موجهاً الخطاب ، في المحل الاول ، الى قلم التحرير الذي اشرف على إعداد هذه المائدة له ، لا الى الكتّاب كاتباً كاتباً ، والشعراء شاعراً شاعراً الخ .. ولا بأس في ان يقف عند بعض النقاط التفصيلية التي يتبدى له فيها رأي ، فيناقش الكاتب فيها بمقدار ، ويعلق على كلامه في احتياط .

والواقع ان مثل هذا الموقف يتخذه ناقد شديد الصلة بقلم التحرير يقتضينا ان نتعوّد شيئاً لمّا نألفه بعد : هو نقد الذات . واذا كنا ما نزال نشكو فقدان النقد الموضوعي الصحيح في أدبنا العربي — كما اوضح رفيقي الاستاذ بهيج عثمان في مقاله عن الادب في السوق — فلا عجب في ان نفتقد القدرة على نقد الذات سواء أكنا افراداً ام جماعات ، وان لا نستسيغه من الذين يخوضون غمراته غير هيابين .

وليس نقد الذات ، هذا ، بدعة جديدة بحال . فقد كان — في شكله الباطني المستسرّ ، على الاقل — منذ ان كان

الضمير . ولكنه اليوم آية على تكامل الشخصيـــة الفردية ، ودعامة من الدعائم الرئيسية التي تنهض عليها بعض المجتمعات في عالمنا المعاصر .

وبعد ، فأحسب ان في استطاعتي الآن ان اقول كلمتي في العدد الماضي من « الآداب » .

●

ان اول ما يدهني لدن قراءتي ذلك العدد أنه **عـدد بادي الهزال ، بل لعله من اهزل الاعداد التي اصدرتها «الآداب» في مدة السنتين ونصف السنة التي قدر لها ان تحياها حتى الآن.** ولست ادري سبب ذلك على وجه الضبط . هل قصّر الكتاب والشعراء والقصاصون عن تزويد العدد بالفيتامينات التي تشدّ من أزره، وتدفع به الى الصف الاول بين الاعداد فلا يتخلف عن الركب حتى يُعدّ سُكيت الحلبة ؟ أم ان قـــلم التحرير ادركته الحرفة ، واستبد به الروتين، فلانت مقاييسه وأمسى المنخل الذي بين يديه غربالاً ؟ ام ان المصادفة هي وحدهـــا المسؤولة عن هذه الظاهرة : المصادفة التي تشاء ان يضنّ الادباء على مجلتهم حيناً بعد حين ، وأن يقع هـــذا العدد قبل عدد ضخم يُعده قلم التحرير خاصاً بـ « الادب والحياة » ويحشد له كامل قواه — وهو هذا الذي تصدر فيه هذه الكلمة — والتي تشاء اخيراً ان لا يُعهد الي إلا بقراءة الاعداد التي يعقبها عدد ممتاز ! وايا ما كان فلست استطيع ان اعفي قـلم التحرير * من تبعة هذا الهزال ، بعضها أو كلها . فهو المهندس المسؤول عن هذا البناء الشهري الذي نريده راسخاً باذخاً لا يتطرّق اليه الوهن أو الضمور، والذي ينبغي ان تُعدّ لبناتُهُ إعداداً سبقياً يقطع الطريق على تحكم الرقم ١٠٨٥ — الذي يحمـــله صندوق بريد «الآداب» — في مقدّرات المجلة الادبية الاولى في العالم العربي . وذلك بتكليف الادباء الكتابة في موضوعات بعينها يرى قلم التحرير أنها حيوية ينبغي ان تعالج ، وطرْق باب الترجمة * في عنف وفي لجـاجة ، تلقيحاً للفكر العربي بثمرات الفكر الاجنبي، وتمكينه من مسايرة الافكار العصرية، وضماناً لمستوى أدنى لا يجوز ان يقصر عنه عدد واحد من اعداد المجلة .

ومن حـق القارىء الآن ان يسألني : ولكن اين الهزال في العدد الماضي ؟ وما البيّنة على هـــذه الدعوى العريضة ؟ وهذا هو الجواب :

●

يتألف العدد الماضي ، بالاضافة الى بعض الابواب الدائمـة (النتاج الجديد — النشاط الثقافي — مناقشات — صنـــدوق البريد) من سبع مقالات ، واربع قصص ، وثماني قصائد . أي انه ينتظم تسعة عشر اثراً لتسعة عشر كاتبـــاً وشاعراً . فهل تصدقني اذا قلت لك ان ثمانية آثار ، او تسعة آثار على التكثير، من هذه كلها جديرة بوقت القارىء ينفقه في مطالعتها ، على حين كان من الخير ان تطوى الباقيات وتسرّح بأحسان ؟ مع العلم بأن من الظواهر التي تعتز بها « الآداب » أنهـا تُقرأ من الدفة الى الدفة ؟

والواقع ان الكثرة الكبرى من هذه الآثار الجيدة داخلة في باب المقالات . ولولاها لـكان العدد عنوان الاخفاق . ومن هذه « الجياد » رسالة رئيس التحرير الناضحة بالايمان والقوة وسلامة التفكير حول الشعر والمصير العربي ، ودراسة الاستاذ عبدالله عبد الدائم الشاملة التي وضع فيها هذا الباحث الفاضل إصبعه على موضع الداء في جميـــع المجتمعات المتخلفة حين قرر « أن صحة الفرد وليد صحة المجتمـــع ونظامه » لا العكس كما تبشر بعض الفلسفات ، ولقطات الاستاذ المعداوي البارعة وزواياه المشرقة ، وحديث الاستاذ بهيج عثمان الراشح بالخبرة والنضج عن الادب في السوق .

هذا في باب المقالات والابحاث. فاذا جئنا الى باب القصص ألفينا « دماء على الاسفلت » لمطاع الصفدي — هـذا الاديب

---

* من الواضح اني لا ابرىء نفسي من التبعة . فانا اقر بأني قصرت — منذ فترة غير يسيرة — في خدمة « الآداب » تقصيراً كبيراً لا يشفع به عند القراء غير انصرافي على نحو كلي يكاد يستغرق ساعات فراغي جميعاً الى اختيار الشوامخ الادبية الباقية على الدهر ونقلهـــا الى العربية في سلسلتي « كنوز القصص الانساني العالمي » و « خوالد التراث الكلاسيكي » وكان من حق المجلة علي ان اقدم اليها كل شهر — شأني في اعدادها الاولى — مقالاً او قصة مترجمة من الروائع الخالدات على الاقل، سداً لبعض الثغرات التي نشكو منها في « الآداب » .

* اليس غريباً ان يخلو العدد الماضي من الآداب من ايما بحث مترجم او قصة مترجمة، مع شدة حاجتنا في هذه الفترة من تطورنا الثقافي والاجتماعي الى مثل هذا الزاد الرفيع الجدير به ان ينهض بأدبنا العربي ويعطيه دمـــاً جديداً ؟

الذي اكتشفته «الآداب» — تكاد تكون وحدها الاقصوصة الناجحة بين اقاصيص العدد الماضي ، وتأتي بعدها في المرتبة أقصوصة « واعظ اللبنان » لمحمود السعدني . أما « النار » لعبد الهادي البكار ، وأما « لا هوادة » التي جاء في وصفها أنها «قصة بقلم خليل الخوري» والتي ختمها صاحبها بهذه الاسطر :

إنها قصة النضال الجبار الضاري في تونس .

وقصة الاحرار العرب يقدمون كل يوم على مذبح الضحايا ارواحهم مختارين طائعين .

وقصة مواكب الفدائيين تنفح العالم صباح مساء بأروع دروس التضحية والبطولة الخالدة ،

— الموت .

— للمستعمرين .

فافضّل ان اترك الكلمة فيها لرئيس التحرير بوصفه قاصاً اولاً ، وناقداً قصصياً ثانياً !

ولكن مصيبة هذا العدد ليست هنا . مصيبة هذا العدد في قصائده ، وعددها كما سلف منا القول ثمانٍ ما كان ينبغي ان يَثبُتَ منها للغربلة ، ولا نقول للنخل ، غير قصيدة او قصيدتين ، واذا اردنا التسامح قلنا غير ثلاث قصائد هي : « مرثية جيكور » للاستاذ بدر شاكر السياب ، و « غزل في الاغلال » للاستاذ عصام حماد ، و « امرأة على درب » لمحيي الدين فارس .

وإذا كنت أعدّ قصيدة السياب خير شعر العدد إطلاقاً فليس يمنعني ذلك من ان أقول إني قرأت لهذا الشاعر الكبير ما هو خيرٌ منها وأبقى . والحق أني لا افهم ما الذي يغري السياب بالرجعة الى القصيدة ، ذلك القالب العتيق للشعر العربي ، بوحدة وزنها ، وتواتر قوافيها ، ورتابة موسيقاها ، في « مرثية جيكور » و « من رؤيا فوكاي » وهو الذي يُعتبر بحقّ رائداً من رواد الشعر الطلق في العراق ، إن لم نقل رائد ذلك الشعر ، والذي مهر العربية بمثل قصيدتيه « يوم الطفاة الأخير » و « أنشودة المطر » . إن في قصائد السياب التقليدية ما يؤذن باستاذية في النظم على الطريقة القديمة — استاذية تذكّر بشوقي في مطولاته ، وتأتسي بالمتنبي حيناً وبالمعري حيناً ، كقوله في « مرثية جيكور » :

واشترى لحم كل من نطق الضاد تجار تبيعه لليهود

وهو يذكّر بقول المتنبي :

وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوذ الجاني وغوث الطريد

و كقوله في القصيدة نفسها :

والذي حارت البرية فيه بالتآويل كائن ذو نقودِ

وهو يذكّر ببيت المعري السائر ، وقد اشار السياب الى ذلك في احد هوامشه :

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد

والواقع ان عدول الاستاذ السياب عن النهج الجديد في النظم الى النهج القديم ليذكر المرء بشاعر آخر من القدامى ، هو ابو نواس الذي اراد ان يثبت لرجال اللغة والمحافظين من اهل الادب انه قادر على ان ينظم وفقاً للاساليب الكلاسيكية وبأدوات التعبير الكلاسيكية لو شاء ، فاطرح الكلام على الخمر والخمارات ، ووقف على الاطلال ، وركب الناقة ، ونظم في الطرد كلاماً ما نكاد نفهم منه شيئاً لغرابة الفاظه وحوشيّتها . فهل يكون الاستاذ السياب في مثل موقف ابي نواس : يريد ان يثبت بالحجة القاطعة أنه لم يأخذ باسباب الجديد عجزاً منه عن خوض ميدان القديم ، بل لايمانه الخالص بأن المستقبل للشعر العربي الطلق ؟

وأياً ما كان ، فلست ارى أن اختم الكلام على الشعر ، من غير أن اضع تحت أنظار القراء نماذج من النظم الذي قُدّم اليهم بوصفه شعراً ، في العدد الماضي من الآداب .

إسمع هذه الابيات من قصيدة «اللغز» :

لو كنت أعلم ما الحياة رفضتها لكن رضيت بها وكنت جهولاً

حتى إذا فتّحت عيني لم أجد الا التراب وروحي المكبولا

ومقادراً ساقت حياتي جثة نبضت بأنفاس السماء قليلا

*

انا من اراد الله ان أحيا لاحمل في ظلام الارض روح النورِ

سأعيش انساناً ولو كان الورى قذراً قذارة سوق هذي العيرِ

واسمع هذه المقاطع من قصيدة « انا والليل » التي احتلت صفحتين كاملتين من العدد :

أم انت خلاب خفيّ الخطر ؟

أرود لا يعني بسرّ البشر

خب أنا في محاب البشر (??)

الاسلام في العالم

١ — المسلمون في المتوسط الشرقي

٢ — المسلمون في اسيا

٣ — المسلمون في المتوسط الغربي وافريقيا (تحت الطبع)

منشورات دار المكشوف

الحب يا ليل ، واذكرتني
ذاك الظمى ، ذاك الذي لا يني
آه من الحب وقد شفّني !
الحب يا ليل ، الجحيم الجحيم
لا يترك النفس الا رميم
فاسأل صريعيك وسل في الحقير ... (؟؟)

*

هذا حديثي بتفاصيله – عن مجمل السر وتفصيله – اماالتي بالهوى – ترمي البك النوى – للهجر مستسلمة – ليست لها مرحمة – في زهوهـا تحتدم – بالعطف لا تصطدم – فالرأي فيها عمى – ما دمت ذا المغرما – والحب في مذهبي – جهل فلا تعتبي ...

*

ايـه ضميري انت انت المهيب
بالكون ان يبقى لعيني المهيب
وبالدجى كيما يظل الرهيب
والنجم ان لا ينزوي بالمغيب
والحب ان يصلبني باللهيب الخ الخ(؟؟)

واخيراً اسمع هذه الابيات من قصيدة «أمتي» :

يا أمتي لبيك آن الأوان ان نغتلي ناراً كآلامنا
لبيك لبيك كفانا الهوان فلنسحق الذل باقدامنا

*

فزمجري صخابة في الذرى واكتسحي كالسيل ما تكرهين
ومزقيها وانفذي خنجراً في كل قلب جامد لا يلين

فهل تراني كنت ظالماً او متجنياً حين قلت إن مثل هذا الشعر ما كان ينبغي ان يَثبُتَ للغربلة بَلْهَ التنخل ؟

*

وبعد فعجيب امري حقاً ! لقد اردت ان اسلك في تقييم العدد هذه الطريقة الكلية لكي لا أثير سخط حضرات الكتاب والقاصين والشعراء ، كما فعل غيري من قبل ، فاذا بهـذه الطريقة نفسها تنتهي بي الى بلاء مزدوج : سخط طائفة كبيرة من الاساتذة المشاركين في تحرير العدد ، ونقمة زملي رئيس التحرير ! *

ولكن لا بأس . حسبي ان اكون صادقاً في مـا ذهبتُ اليه من رأي ، وان يكون في هذا الذي قلتـهُ في صدق ، ما يحملنا جميعاً على مضاعفة الجهد وتلافي التقصير .

منير البعلبكي

---

* تعقيب رئيس التحرير : اطمئن زملي الاستاذ البعلبكي اني لست ناقماً على مقاله إطلاقاً . فان إيماني بحرية الفكر وبانّ ميزة الاديب الاولى ان يكون واسع الصدر ، يتقبل كل ما يقال له بروح التجرد والسعي الى بلوغ الحقيقة، إن ذلك جدير به ان يعصمني من النقمة . ولماذا تراني في الحق انقم ، ما دام الاستاذ البعلبكي يعترف بأنه يشاركني تبعة التقصير ، هـذا إن كان هناك بالفعل تقصير ؟ « س . ا »

في المكتبات.. في كل بلد عربي

الطبعة الرابعة

من الكتاب العالمي

ثمن اسرائيل

للكاتب اليهودي الذي تبرأت منه الصهيونية

الفريد ليلينتـــال

✡ اسرائيل التي تجدد الحديث عنها بعد عقد الحلف التركي-العراقي .

✡ اسرائيل التي اثارت العالم العربي بعد اعتدائها الاخير على غزة .

✡ اسرائيل المشكلة . اكبر مشكلة في تاريخ الشرق الاوســط .

✡ اسرائيل ... انهاذات ثمن ... ما هو الثمن ... دولار أم جنيه استرليني؟ دبابة أم مدفع ...

هذا الثمن يكشف عنه كتاب

ثمن اسرائيل

الكتاب الذي طبع اربع مرات في سنة واحدة وهذا رقم قياسي في دنيا النشر العربية ...

الثمن ليرة واحدة او ما يعادلها ...

يوزع في كافة البلاد العربية بواسطة:

المكتب التجاري

للطباعة والتوزيع والنشر

ص.ب ٢٦٦٧ تلفون ٢٤٥٠٣